@ 214 @ به ، فإنها ونظيرها ، وما هو أقوى منها ، دالة ومقررة لنبوة محمد صلى ا عليه وسلم . ولما كان المراد من تعديد ما عدد ا من قبائحهم هذه المقابلة ، لم يبسطها في هذا الموضع ، بل أشار إليها ، وأحال على مواضعها ، وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها . وقوله : ! 2 2 ! . يحتمل أن الضمير هنا في قوله : ! 2 2 ! يعود إلى أهل الكتاب . فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ، ويعاين الأمر حقيقة ، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ، ولكنه إيمان لا ينفع ، لأنه إيمان اضطرار . فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد ، أن لا يستمروا على هذه الحال ، التي سيندمون عليها قبل مماتهم فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم ؟ ويحتمل أن الضمير في قوله : ! 2 2 ! راجع إلى عيسى عليه السلام . فيكون المعنى : وما من أحد من أهل الكتاب ، إلا ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح ، وذلك يكون عند اقتراب الساعة ، وظهور علاماتها الكبار . فإنها تكاثرت الأحاديث في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة . يقتل الدجال ، ويضع الجزية ، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين . ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا ، يشهد عليهم بأعمالهم ، وهل هي موافقة لشرع ا أم لا ؟ وحينئذ لا يشهد إلا ببطلان كل ما هم عليه ، مما هو مخالف لشريعة القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى ا عليه وسلم ، علمنا بذلك ، لعلمنا بكمال عدالة المسيح عليه السلام ، وصدقه ، وأنه لا يشهد إلا بالحق . إلا أن ما جاء به محمد صلى ا عليه وسلم ، هو الحق ، وما عداه ، فهو ضلال وباطل . ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب ، كثيرا من الطيبات ، التي كانت حلالا عليهم . وهذا تحريم عقوبة ، بسبب ظلمهم واعتدائهم ، وصدهم الناس عن سبيل ا ، ومنعهم إياهم من الهدى ، وبأخذهم الربا ، وقد نهوا عنه . فمنعوا المحتاجين ، ممن يبايعونه عن العدل . فعاقبهم ا من جنس فعلهم ، فمنعهم من كثير من الطيبات ، التي كانوا بصدد حلها ، لكونها طيبة . وأما التحريم الذي على هذه الأمة ، فإنه تحريم ، تنزيها لهم عن الخبائث التي تضرهم ، في دينهم ودنياهم . ^ (ل كن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بمآ أنزل إليك ومآ أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون با واليوم الآخر أول ئك سنؤتيهم أجرا عظيما) ^ لما ذكر معايب أهل الكتاب ، ذكر الممدوحين منهم فقال : ! 2 2 ! أي : الذين ثبت العلم في قلوبهم ، ورسخ الإيقان في أفئدتهم ، فأثمر لهم الإيمان التام العام ! 2 ! 2 وأثمر لهم الأعمال الصالحة ، من إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، الذين هما أفضل الأعمال . وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود ، والإحسان إلى العبيد . وآمنوا باليوم الآخر ، فخافوا

الوعيد ، ورجوا الوعد . ! 2 2 ! لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان ، والعمل الصالح ، والإيمان بالكتب ، والرسل السابقة واللاحقة . ! 2 2 ! يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله ، من الشرع العظيم ، والأخبار الصادقة ، ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، وفي هذا عدة فوائد : منها : أن محمدا صلى ا عليه وسلم ، ليس ببدع من الرسل ، بل أرسل ا قبله من المرسلين ، العدد الكثير ، والجم الغفير ، فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد . ومنها : أنه أوحى إليه ، كما أوحى إليهم ، في الأصول ، والعدل الذي اتقوا عليه ، وأن بعضهم يصدق بعضا ، ويوافق بعضهم بعضا . ومنها : أنه من جنس هؤلاء الرسل ، فليعتبره المعتبر ، بإخوانه المرسلين . فدعوته ، دعوتهم ؛ وأخلاقهم متفقة ؛ ومصدرهم واحد ؛ وغايتهم واحدة . فلم يقرنه بالمجهولين ؛ ولا بالكذابين ، ولا بالملوك الظالمين . ومنها : أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم ، من التنويه بهم ، والثناء الصادق عليهم ، وشرح أحوالهم ، مما يزداد به المؤمن ، إيمانا بهم ، ومحبة لهم ، واقتداء بهديهم ، واستنانا بسنتهم ، ومعرفة بحقوقهم ، ويكون ذلك مصداقا لقوله : ! 2 ! ! 2 22 ! ! 2 2 ! ^ (سلام على إلياسين . إنا كذلك نجزي المحسنين) ^ . فكل محسن ، له من الثناء الحسن بين الأنام ، بحسب إحسانه . والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان . ولما ذكر اشتراكهم بوحيه ، ذكر تخصيص بعضهم . فذكر أنه : آتى داود الزبور ، وهو الكتاب المعروف ، المزبور